بسم الله الرحمن الرحيم

نحمدك يا ذا الجلال والاكرام . على ما أكملت لنا من دين الاسلام ونصلّى ونسلم على نبيّ الهدى والرحمة . المبعوث بالكتاب والحكمة . خاتم النبيين . وإمام المرشدين . سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وأتباعه أجمعين

﴿ أمّا بعد ﴾ فان موعظة العامّة . والتصدّى لارشادهم فى الدروس العامّة . من الأمور المهمة . المنوطة بخاصة الأمة . إذ هم أمناء الشرع ونور سراجه . ومصابيح علومه وحفاظ سياجه . وكان السلف يملون مما وقر فى صدورهم . ما يرونه أمسّ بحالهم وزمنهم ومكانهم . ولما امتدّ الفتوح فى الاسلام . ابتدئ بجمع الهدى النبوىّ للأنام . ثم اتسع العمران وعظمت الحضارة . فأخذ نمو التفريع والتخريج والانبساط فى الفنون على نسبتها فى الغزارة . واستبحرت فى فنون العلم الأسفار . ودنت لمقتطفه مباحثه الكبار وصار المعوّل فى بثه عليها . والملجأ فى تعرف حقائقه عليها . وتنوّعت فى كل فنّ مصنفاته . وزخرت من كل بحث مؤلفاته . حتى حار طالبه فى انتقاء الأحسن . واستوقف كثرتها نظره فى تخيّر الأتقن . وأصبح التبصر فى أجودها عنوان الذكاء . والوقوف على أنفعها آية النباهة والارتقاء . ولما كانت

عظة العوام . بايقـافهم على جواهر دين الاسلام . وإعلامهم محاسن الدين وواجباته . ونوافله ومحظوراته . وما يأمر به من الأخلاق الكريمة . ويزجر عنه من المساوئ الذميمة . ليرتقوا الى ما فيه صلاحهم ونجاحهم . فيفوزوا بما في الاعتصام به سعادتهم وفلاحهم . من أوجب الواجبات . وآكد المفروضات . لما أخذ الله على العلماء من الدعوة الى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . فيقف المدعوُّون على شرائعه تعالى فيما أمر وزجر ووعد وأوعد وبشّر وأنذر . فلزم الداعي الى الله تعالى أن يجتهد بفطنته لما يعينه في دعوته . فينتخب من المدوّنات أنفعها . وينتقي من لباب لبابها أرفعها . اذ كثير مما اعتيد في المحافل تدريسه . لم يكن على بناء إفادة العامّة تأسيسه . ولا برهان . بعد عيان *

موضوع ذكرى العامّة موضوع جليل . لا يصلح له الا كل حكيم نبيل . أتدرى من المذكر . أو الواعظ . أو المرشد . هو انسان حافظ لحدود الله . قائم على إرشاد العقول . وتهذيب النفوس . وتثقيف الأذهان . وتنوير المدارك . وتصحيح المعتقدات . وإبانة سرّ العبادات . وإماطة ما غشى الأفهام القاصرة من غياهب الجهالة . وتراث الضلالة *

المذكر وارث محمدىّ . واقف على مقاصد التشريع وحكمته . عالم مواضع الخلاف والوفاق . سائس لسامعيه بما يلائمهم من الأحكام . لا يصعد بهم قمم الشدّة والتعسير . ولا يهبط بهم الى حضيض الترخيص غلوّا في التيسير بل يسير بهم على جادّة الحقّ وسواء الطريق *

المذكر ينشر العلم النافع بين الناس . ويحثهم على العمل به . ويخاطبهم على قدر عقولهم . ويتنزّل لارشادهم الى افهمهم . يعاشرهم بالنصح . ويخالطهم لتأليف قلوبهم *

المذكر هو العامل الأكبر في إخراج النـاس من ظلمات الجهالة الى نور العلم . وتحريرهم من رقّ الخرافات والوهم . وهو كالسراج فاذا لم ينتفع بضوئه فلا فائدة في وجوده . وحقّ ما قيل « لا يكون العالم عالماً حتى يظهر أثر علمه في قومه » اذ ليس مسئولاً عن نفسه وحدها بل عنها وعن عشيرته وأمته فمن الواجب عليه أن يعلّم ويعظ ويبلّغ كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى الجملة فالمذكر لابد أن يكون كاملا في علمه . كاملا في تعليمه . كاملا في إرشاده . كاملا في أخلاقه *

وغير خاف أن مذكر العامّة على قوّة ملـكته . وسعة مداركه . يضطر الى مادّة تعينه على ذكراه . وتمدّ ذاكرته اذا أمّ مبتغاه . ولـكن أين تلك المادّة الممدّة . فاني لم أرَ بين المصنفات على كثرتها ما ألف لذكرى العامة مستوفياً للشروط التـامّة . بأن يفقهوا معنـاه . ويدركوا منطوقه ومغزاه ويكون وافياً بحاجياتهم . آتياً على جميع كمالياتهم . مجرّداً عن دقائق المسائل قريب الأخذ للمتناول . فيستعين به المذكر . ويهتـدي به المستبصر . ولم أزل أترقب من نفحات التوفيق ما يهدّئ البال . الى أن رأيت بعد ما باوت في عامّ التدريس . كل كتاب نفيس . الأعوام الطوال . أنّ من أنفع ما يقتبس منه عظة المؤمنين . مواضيع تنتخب (من إحياء علوم الدين) للعلاّمة الامام

حجة الاسلام . أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي عليه الرحمة والرضوان . ثم اتفق أن تذاكرت مع حكيم إمام[1] . واستطلعت رأيه الصائب في هذا المرام . فقال متأسفاً « إن هذا الموضوع لم يصنف فيه إلا ان أحسن ما لدينا لذلك هو الاحياء بعد تجريده » فعددت ذلك من بدائع الموافقات وأتذكر الآن ان أحد الأعلام في دمشق أشار علي من استشاره من المدرسين بالاحياء . فأخذ المدرس في قراءته بالحرف . عملا بالأمر الصرف . ثم شكى له ضيق صدره من مباحث لا تفقهها العوام . ولا ينتفع بها الا خاصة الأنام فأجابه بأن أمره كان لفصول تنتخب منه . وقد تحققت بذلك كمال حذقه رحمه الله ورضي عنه . لذلك عزمت سنة (١٣٢٣) على اختصاره في جزئين موجزين على الشريطة السالفة . أساير فيهما ترتيب أصله بلا مخالفة . والمأمول أن تحظى بالغاية الموخاة . والضالة المنشودة . وبالله المستعان . وعليه التكلان *

كتاب العلم

فضيلة العلم

شواهده من القرآن آيات كثيرة منها قوله عز وجل ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ﴾ فانظر كيف بدأ سبحانه

(١) هو الاستاذ الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية أيام كنا في ضيافته بمصر عام (١٣٢١) واستشرناه فأشار به عليه الرحمة والرضوان *